

## دور القياس في نجاح العملية التعليمية

يعتبر ميدان القياس والتقويم التربوي والنفسي إحدى الميادين الرئيسية الحيوية في علم النفس والتربية، فهو يتضمن مجموعة من الإجراءات والوسائل التي تساعد على الوصول إلى براهين تسهم في اتخاذ القرارات التربوية سواء كانت هذه القرارات ذات طبيعة ضيقة ومحددة من حيث مداها أم أنها واسعة المدى من مثل تلك التي تتعلق برسم السياسات التربوية والتخطيط التربوي للنظام التربوي بأكمله.

وبغض النظر عما إذا كان القياس والتقويم جزء من حل المشكلات التربوية في النظام التربوي أو جزء من مشكلات النظام التربوي فإن الاختبارات والمقاييس أصبحت شائعة الاستخدام بغرض الانتقاء والتصنيف والمسائلة وضبط الجودة والنوعية وتحقيق العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص، التي تنادي بها الأنظمة والتشريعات والسياسات التربوية في جميع الدول.

ويعد القياس ركناً أساسياً وعنصراً هاماً من عناصر العملية التربوية بشكل عام والعملية التدريسية بشكل خاص، ولا يستطيع المعلم القيام بدور المقوم مالم يتوفر لديه الحد الأدنى من المعلومات والمهارات الأساسية في مجال القياس والتقويم بشكل عام.

أما تقويم تعلم الطلبة فهو من أهم مراحل العملية التعليمية التعلمية وأكثرها ارتباطاً بالتطوير التربوي الذي تسعى إليه الكثير من الأنظمة التربوية، فهو وسيلة للحكم على فعالية عمليتي التعليم والتعلم ومدى ملاءمتها لمستويات الطلبة ونموهم وقدراتهم ومهاراتهم المختلفة.

وكثيراً ما يرتبط مصطلح كل من التقويم والقياس مع بعضهما البعض في عملية التقويم، لأنهما وثيقاً الصلة بهذه العملية منذ زمن بعيد، فالقياس والتقدير من أهم وسائل التقويم الذي يعتبر ليس مجرد عملية قياس فقط بل يتعدى ذلك إلى تحليل نتائج هذا القياس وتشخيص نواحي الضعف، واكتشاف طرق العلاج اللازم لها، وهنا نشير إلى أن القياس يعين عناية خاصة بناحية معينة تهتم بتحصيل المواد الدراسية واكتساب بعض المهارات والقدرات اللازمة لذلك، بينما يهتم التقويم بالتغيرات الأساسية الشاملة للشخصية المتعلمة والأهداف الكبرى التي تعمل النظم التعليمية على تحقيقها، فالتقويم لا يقتصر على التحصيل العلمي فحسب بل يتعدى ذلك إلى التعرف على الاتجاهات والميول والمثل العليا التي يكتسبها المتعلم أثناء عملية تعليمه، وبالتالي يعتبر القياس وسيلة هامة من وسائل التقويم باعتباره العامل الرئيس الذي يساعده على استخلاص نتائجه بشكل دقيق وفعال.

- ليس التقويم مجرد عملية قياس بل يتضمن أيضاً تحليل نتائج هذا القياس وتشخيص نواحي الضعف واكتشاف طرق العلاج.

- يعد القياس أنسب المعلومات عن نتائج التعليم حتى يمكن تقويمها وتقديرها بدرجة أعلى من الثقة والاطمئنان والثبات.
- القياس عناية خاصة بناحية معينة في تحصيل المواد الدراسية أو كسب بعض المهارات والقدرات بينما يهتم التقويم بالتغيرات الأساسية الشاملة للشخصية، فالتقويم لا يقتصر على التحصيل التعليمي، بل يتعدى ذلك إلى الاتجاهات الاجتماعية والميول والمثل العليا والتكيف الشخصي .
- القياس وسيلة من وسائل التقويم، فهو الذي يتيح للتقويم أن يستخلص نتائجه فلكي نستطيع تحديد مدى التحصيل يجب أن تكون لدينا فكرة عن الأفراد قبل هذا التحصيل في مختلف صفاتهم لمقارنتها بما يظهر لدينا من معلومات عنهم بعد عملية التحصيل.
- القياس هو مقارنة فرد في مجموعة ما، وفي صفة ما، وتحديد لمركزه في هذه الصفة بين هذه المجموعة، أما التقويم فهو الحكم على مدى تحقيق الأهداف التربوية من نظام تعليمي معين.
- يهتم القياس بالنتائج الملموسة، أما التقويم فيهتم بالنتائج غير الملموسة في الشخصية والنمو الفردي والمشروعات الجماعية ويعتمد أساساً على الاستفتاءات والمقابلات الشخصية .التقويم والقياس التربوي ودوره في إنجاح العملية التربوية.
- القياس وحده لا يكفي للتقويم لأنه ركن من أركانه.
- أهم ما يراعى في القياس هو الصورة المبسطة لتحصيل المادة أو المهارة، بينما يراعى التقويم التغير الواسع المدى في الشخصية وطرق الوصول إلى الأهداف الرئيسية في البرنامج التعليمي.
- القياس يقيس الجزء، والتقويم يشمل الكل، فإذا كان القياس يعنى بنتائج التحصيل، فإن التقويم يتناول سلوك المقوم ومهاراته وقدراته واستعداداته وميوله وكل ما يتعلق بالعملية التربوية.

### دور القياس والتقويم في إنجاح العملية التعليمية:

1. في مجال صياغة أهداف العملية التعليمية: يساهم التقويم والقياس في كثير من الأحيان في عملية اختيار الأهداف التربوية والخطوات المتبعة في اختيار الأهداف وتحديدتها على درجة كبيرة من الأهمية لأننا نسعى على تغيير سلوك الأفراد خلال التعلم والتدريب ولكن بعض هذه التغيرات قد لا تكون مرغوباً فيها، حيث أن التعلم داخل المؤسسات التربوية قصير نسبياً قد لا يسمح لنا بالوصول إلى جميع أهدافنا وغاياتنا، فمثلاً لا يمكن للمعلم أن يقيس نتائج تدريس التلاميذ مقررراً في اللغة العربية دون أن يعرف مقدماً أي تغيرات في السلوك يهدف إلى تحقيقها، فالتقويم بأدواته المختلفة يهدف في هذه الحالة إلى تحديد ما إذا كانت هذه التغيرات قد تمت على النحو الذي كنا ننشده فإذا كان مقرر اللغة الذي أشرنا إليه يهدف إلى تنمية المهارة في تنظيم المادة المكتوبة فإن أدوات التقويم في هذه الحالة تختلف عنها في مقرر يهدف إلى تنمية المعلومات الأدبية أو تنمية مهارة القراءة

2. في مجال الحكم على نجاح المتعلمين: من المؤكد أن لكل مرحلة تعليمية عدد من السنوات الدراسية اللازمة لها فإذا كان التعليم في كل مراحله يتفق مع الحاجات والإمكانيات الفردية يصبح للسنوات الدراسية معنى أكبر من كونها مجرد زمن عابر وخاصة إذا كان مستوى التحصيل الذي يصل إليه كل تلميذ على حدة في مختلف الميادين يتحدد بأساليب التقويم وأدوات القياس.

3. في مجال زيادة الدافعية للتعلم: يقوم التقويم والقياس بالوظائف الثلاث الرئيسية للدوافع في التعلم وهي :  
أ ) وظيفة التنشيط : Energizing أي زيادة المستوى العام للنشاط والجهد والمبذول ويمكن التذليل على ما تحدثه الامتحانات السنوية والعامية من ازدياد النشاط والجهد العقلي في فترات العمل الشديد التي يقضيها الطلاب في المدارس الثانوية والجامعات قبيل الامتحانات، وكثير ما تكون هذه الامتحانات في معظم المدارس خاتمة المطاف ويكون للنجاح والفشل فيها أهمية كبيرة، كما تحدد هذه الامتحانات عموماً متى يتعلم التلاميذ وماذا يتعلمون وكيف يتعلمون، ولذلك فإن هذه الامتحانات إذا لم تقم بقياس أهداف المنهج أو المقرر قياساً حقيقياً وصادقاً فإننا نشك كثيراً في قيمة الدافعية التي تستثيرها.

ب) في مجال وظيفة التوجيه : Directive وبها يتم توجيه سلوك المتعلم ونشاطه إلى الأماكن المرغوب فيها فإذا كانت نتائج التقويم والقياس التربوي يمكن بها الحكم على المدارس والمعلمين والتلاميذ فإن طبيعة أدوات التقويم تحدد إلى حد كبير نوع العملية التربوية، فإذا كانت الاختبارات تتضمن أحكاماً كيفية هامة فإنها تفيد كثيراً في تحديد الأهداف والطرق التربوية وإذا كانت الاختبارات تعتمد على مضمون تقليدي بحيث تكون معظم أسئلتها حول الحقائق بغرض تحديد مقدار ما حفظه التلاميذ من مادة الكتاب المدرسي فإن آثار هذا النوع من الاختبارات تختلف عن الاختبارات التي تقيس مهارات الدراسة وقدرة حل المشكلة لأن الأخيرة تؤكد المفاهيم وتوضح الأهداف الهامة لعملية التربية وهو التعلم الدائم .

ج ) في مجال وظيفة الانتقاء : Selective تعني هذه الوظيفة تحديد الاستجابات التي سوف يتم تثبيتها وبقاؤها عند التلاميذ والاستجابات التي سوف تحذف وتربط هذه الوظيفة بالجانب التشخيصي للتقويم، إلا أن الفرق بين الانتقاء والتشخيص هو "أن الاختبار التشخيصي يركز الاهتمام على تشخيص الصعوبات كما يقترحها المعلم أو الأخصائي النفسي المدرسي، وتؤكد البحوث التجريبية أنه كلما كانت معرفة التلاميذ لجوانب الصواب والخطأ في استجاباتهم وأسبابها معرفة مباشرة في موقف الاختبار فإن ذلك يؤدي إلى تثبيت الاستجابات الصحيحة أو السلوك المرغوب منه وحذف الأخطاء واستبعادها "

4. في مجال الإرشاد النفسي : Counseling هو العملية التي يمكن بها تنظيم أو عرض المعلومات الخاصة بالفرد على نحو يساعده في الوصول إلى حلول فاعلة لمشكلات التكيف التي يعاني منها والتي تكون عادة في المستوى السلوكي العادي أو السوي، وبهذا المعنى فإن الإرشاد النفسي جانب متخصص من جوانب الخدمات الفردية أو برامج التوجيه بوجه عام.

ولكن ما هو الدور الذي يقوم به التقويم والقياس في خدمات الإرشاد النفسي؟ يمكن القول بأن "علاقة التقويم والقياس بالإرشاد النفسي هي علاقة الوسيلة بالغاية أي المساعدة على التعرف على نواحي القوة والضعف سواء كانت داخل الفرد أو بين الأفراد أي أن التقويم والقياس يفيد في جمع المعلومات عن الأفراد الذين يعانون من المشكلات الفردية الخاصة بالتكيف والتوجيه والنمو.

**وختاماً:** هناك حاجة إلى الانتقال من النظرة الضيقة لممارسات القياس والتقويم كممارسات تجرى في المناسبات والأغراض ضيقة ومحدودة إلى ممارسات مستمرة ووثيقة الصلة بالعملية التعليمية والتعلمية هدفها بناء ممارسات تربوية جيدة من خلال التغذية الراجعة المستمرة التي يحصل عليها، ومن خلال الحرص المستمر على إحداث دمج وتكامل بين إجراءات القياس والتقويم وعملية التعليم والتعلم.